أبو فراس

نـــاجيتُ ذكـــراكَ عَلّـــي أُحسِـــنُ الكلِمـــا
يـــا شـــاعراً مجـــدهُ أرضٌ لـــه وســـما
ورحـــتُ أرجـــو لقولـــي عنـــك مبتـــدأً
فمـــا رأيـــتُ بـــأني قـــد ملكـــتُ فمـــا
وكيـف تقـوى علـى صيـد النجـوم يـدي!
مـــن قـــال صـــاد نجومـــاً ضـــلَّ مـــا زعمـــا
أبـــا فـــراسٍ أيـــا زيـــنَ الشـــباب أمـــا
بقيـــتَ زيـــنَ شـــبابٍ يرفـــض الهرمـــا!
شِـــبنا صغـــاراً وأصبحنـــا ذوي هـــرمٍ
فهـــل رأيـــتَ عجـــوزاً بعـــدُ مـــا فطِمـــا!
أجـــلْ فنحـــن الألـــى في مهدهـــم هرمـــوا
لمَّـــا أضـــاع سَـــراةُ الأمـــة القيمـــا
انظـــرْ تجـــدْ فتيـــةً مـــن قهرهـــم عجـــزوا
لمـــا اســـتباح طغـــاةُ الأرض خـــيرَحمى
جـــدران مســـجدنا الأقصـــى تـــذوب أســـىً
كأنـــه لهـــف نفســـي لـــم يكـــن حرمـــا!

نرنـــو بعـــينٍ إلـــى أهليـــه شـــامتةٍ

ومـــن يُفدّيـــه منهـــم ربّمـــا شـــتِما!

لـــم يبـــق شـــيءٌ بنـــا ممّـــا الـــتزمتَ بـــه

وقـــلَّ في عصرنـــا مَـــن مثلَـــك التزمـــا

أمـــا لزمـــتَ بنـــاء المجـــد مـــن صغـــرٍ

وكـــم جلبـــتَ لـــه ممـــن بغـــوْا خدمـــا!

وكـــلُّ مـــا نتمنـــى أن نُـــرى خدمـــاً

عنـــد الـــذي فخـــره أن يلثـــم القدمـــا

شـــبابكَ الغـــضُّ قـــد أمضيتَـــهُ بطـــلاً

راض الصعـــابَ، وأرضـــى الســـيفَ والقلمـــا

والشـــعر والســـيف ماكانـــا يـــداً بيـــدٍ

إلا وألفيـــتَ جيـــش العـــزِّ مقتحمـــا

روّضـــت للســـاحِ خيـــل العـــزِّ جامحـــةً

ونحـــن للهـــو أطلقنـــا لهـــا اللُجمـــا

تغـــير صبحـــاً عليهـــا وهـــي ضابحـــةٌ

فتنشـــر الرعـــب في الجيـــش الـــذي انتظمـــا

ترمـــي أعـــاديك صبّـــاراً إذا احتدمـــت

ومـــا رميـــت ولكـــن الإلـــه رمـــى

أمـــا لـــك الصـــدرُ دون العـــالمين، ومـــا

أحـــراك بـــالصدر بـــدراً بالإبـــاءِ ســـما!

تســـتعذب المـــوت إحقاقـــاً لمعتقـــدٍ

ومـــا أحـــبَّ مماتـــاً يفتـــدي القيمـــا!

لا ضـــيرَ إنْ عـــثرت في الســـاح واثبـــةٌ

فكـــم رأيـــتَ عِثـــاراً ثبّـــتَ القدمـــا!

فـــالمؤمنون يـــرَوْن العســـرَ ميســـرةً

هيهـــات تلقـــى أخـــا الإيمـــان منهزمـــا

فســـجن خرشـــنةٍ قـــد صـــار منتزهـــاً

لديـــك لمـــا اتخـــذت الله معتصمـــا

هـــي العقيـــدةُ مـــا كـــانت مهيمنـــةً

إلا وكـــان فتاهـــا فارســـاً علمـــا

❖❖❖

أبـــا فـــراسٍ أعرنـــي منـــك قافيـــةً

فمـــا أرى شـــعرَ جيـــلِ الـــذلِ منســـجما

ألـــم يـــكُ الشـــعرُ ديوانـــاً لأمتنـــا

أمـــا بعثنـــاه صـــوّالاً، ومقتحِمـــا؟!

واليـــوم تلقـــاه شِـــلْواً لا حـــراك بـــه

كـــالقوم أمســـى قعيـــداً يبعـــث الســـأما

قـــد أبدلـــوا الصـــدق منـــه ضِلّـــةً وهـــوىً

وقلّـــدوا الهـــوسَ الغربـــيَّ، والعجمـــا

فصـــار أخـــزى أعادينـــا يجرجرنـــا

كـــأن قومـــيَ وا لهفـــي غـــدْوا غنمـــا

ولـــن أفصِّـــلَ مـــاهم فيـــه مـــن ضعِـــةٍ

كـــأنهم عـــدمٌ... أستســـمح العدمـــا

فهـــل نهضـــتَ، ألا لا تنهضـــنَّ، ونمْ

فـــالحيُّ أنـــت، وإنّـــا مـــن غـــدْوا رممـــا

❖❖❖

أبـــا فـــراس أعرنـــي منـــك قافيـــةً

علّـــي أحـــرك في قلـــب النيـــام دمـــا

أكـــاد مثلَـــك يـــا مـــولايَ أنكِرهـــم

وكيـــف نعـــرف مـــن ذلّـــوا لمـــن ظلمـــا!

تبلّـد الحـسُّ حتـى لا نحـسَّ دجـى

إذا دجيْنـا... وكـمْ نلقـى الضحـى ظُلمـا!

ونحـن نرفـلُ في أثـواب ذِلّتنـا

ونحسـب الـذلَّ مـن تضليلنـا نِعمـا

والقـدسُ والهـةٌ ثكلـى مولولـةٌ

ولـم نصـمَّ، ولكـن نشـتري الصممـا

أوّاه للمسـجد الأقصـى وحرقتـه

أوّاه ممـن تعـاموْا عنـه دون عمـى

لكنمـا الشـمسُ في أرض الجنـوب صحَت

أمـا رأيـت بهـا الطـاغوت منهزمـا

لـم تجـده كـلُّ مـا في الأرض مـن عُـددِ

لمـا علـى ضعفنـا كنـا يـداً وفمـا

أمـا تـرى فتيـة الإيمـان قـد خلعـت

قلـب العـدوِّ ببـأسٍ هـبَّ مضطرمـا!

وليـس في كفهـم إلا الحصـى عُـددٌ

يـا للحصـى فـاقت البركـان محتدمـا!

لـو كنـت تبصـر كيـف الهـولُ تنزلـه

علـى الأعـادي فيغـدو قلبُهـم ضَرمـا

لقلـــتَ إن أولاء الصيـــدَ أعرفهـــم

فهـم بَنـيَّ، وهـم مـن أورثـوا الشـمما

شـالت بهـم عـزةُ الإيمـان فـانتفضوا

وعهدهـم أن يصونـوا الأرض والقيمـا

لابـد مـن أن نعيـد القـدس ظـافرةً

وأنـف مـن سـالموا أعداءهـم رغمـا

❖❖❖

أبـا فـراس وهـذا وحـي قافيـةٍ

ألهمتَهـا فـأتت تسـتنهض الهممـا

أورثتنيهـا فأزكـت في دمـي شـعلاً

وعشـت منهـا أعـاني الهـمَّ والألمـا

ولسـت إلا بهـمِّ القـوم ذا سـقمٍ

ولسـت إلاّ بـه أسـتعذب السـقما

فـاعذر فديتُـك إن جـاءت مجلجلـةً

ولـم تجـامل ذليـلاً لا ولا صنمـا

لا بـارك الله في قومـي ولاسـلموا

إذا الدعـيُّ، وسـلم الـذلّ قـد سـلما